التّطرّف في المشهد السوري الأسباب والتداعيات

وحدة البحوث و الدراسات

www.asocenter.org
info@asocenter.org
(+964) 751-4413372

مركز آسو للاستشارات والدراسات الاستراتيجية

Analysis and Strategic Study Organization (ASO)

هي مؤسسة بحثية تغطي مجالا إقليميا واسع النطاق، تهتم بمتابعة التطورات على ساحة جيواستراتيجية واسعة تشمل بلاد الشام بصفة خاصة والشرق الاوسط بصفة عامة، مع الاهتمام بالشأن السوري والعراقي، وللمركز مقر في سوريا والعراق.

يعمل المركز على تقديم مساهمات فكرية ومعرفية جادة تعني المنطقة وتؤثر في مستقبلها في مجال الاستشارات والدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والأمنية واستطلاعات الرأي والتدريب الإداري.

انطلاقا من مبدأ الجودة والتميز في خدمة المجتمع الذي شكل الدافع الرئيس للعملية التنموية، جاء إنشاء مركز آسو للاستشارات والدراسات الاستراتيجية لتكون مركزا للتفكير وصنع السياسات العامة محليا واقليميا واعداد وتأهيل وتنمية كوادر وقيادات على درجة عالية من المهارة والعلم الحديث في المجالات المختلفة.

حقوق النشر محفوظة © ٢٠٢٠

الفهرس

مقدّمة: ٣

مفهوم التطرف: ٤

مظاهر التطرف: ٤

أولاً: التطرف السياسي: ٤

ثانياً: التطرف الديني: ٤

ثالثاً: التطرف الفكري: ٤

رابعاً: التطرف الاجتماعي: ٥

خامساً: التطرف الوجداني: ٥

سادساً: التطرف السلوكي: ٥

أسباب التطرف: ٥

١. الأسباب السياسية: ٨

١.١ الإخوان المسلمين كبنية تاريخية مُمهِّدة: ٨

١.٢ الإقصاء السياسي والقبضة الأمنية: ٨

١.٣ الطائفية وتهميش الأقليات: ٩

١.٤ القضية الكردية؛ إنكار الوجود وطمس الحقوق: ٩

٢. الأسباب الدينية: ١٠

٣. الأسباب الاقتصادية: ١١

٤. الأسباب النفسية؛ الإحباط والإحساس بالمهانة: ١١

٥. خامساً: الأسباب الاجتماعية: ١٢

٦. سادساً: البنية التعليمة: ١٢

التداعيات المترتبة خلال الحرب بالسورية: ١٣

1. التطرف من الفكرة إلى الفعل: ١٣

2. التدخلات الدولية وتنامي التطرف: ١٣

3. السياق الاجتماعي للنزوح واللجوء: ١٣

4. الجماعات المتطرفة كبديل اقتصادي: ١٤

5. التعليم المتطرف كأجندة سياسية: ١٤

6. الإعلام كمروّج للكراهية والعنف: ١٥

الخاتمة: ١٥

التّطرّف في المشهد السوري
الأسباب والتداعيات

مقدّمة:

لا ريب أنَّ التّطرف كظاهرةٍ عالميّة وتاريخيّة، يُعدُّ من أعْقد الظواهر التي تعاني منها المجتمعات كافة، لا سيما المجتمعات شرق أوسطيّة، كما يُعدُّ من أكثر الموضوعات التي تهدّد السّلام الدولي، وتعيق تقدّم البشرية، لما تخلّفه من نتائج كارثيّة، تتجلّى انعكاساتها السّلبية على كافة الأصعدة والمستويات في صيرورة حياة الأفراد والمجتمعات.

وعلى الرّغم من أنَّ هذه الظاهرة قد تمّتْ محاربتها من الأديان والرّسالات السّماوية كافة، وتصدّتْ لها النّظريّات الفلسفيّة والاجتماعية، وأدانتها القوانين المدنيّة، والشّرائع الدولية، وانبرتْ لها الأقلام الأدبية، إلا انها لا تزال تضربُ بجذورها عميقاً، وترسّخ وجودها، وتجنّد قواها، وتلوّح كفزّاعةٍ للمستقبل.

حيث يتصدر "التطرف" بقوة المشهد السياسي والإعلامي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠١١، وصولاً إلى ما يُسمّى بثورات (الربيع العربي) وما تخلّلها وتبعها من تدهور وفوضى، وانهيارٍ تامٍ للعديد من الأنظمة العربية التي أنهكتْ كاهل شعوبها، وزرعتْ في نفوسها بذور النّقمة، بعد عقود من القمع والاستبداد. الأمر الذي أدى إلى بروز العديد من التّيارات السياسيّة والحركات المتطرّفة، التي جاهدتْ –بالقوة-لفرض سياساتها وأيديولوجياتها، ولم تدّخر جهداً لتجنيد ما أمكن في صفوفها حتى الأطفال والقاصرين، في سبيل السيطرة وتقلّد السلطة.

ويعتبر المشهد السوري الأكثر جلاءً للعديد من التيارات والحركات المتطرفة، والصراع الدموي بين النظام والمعارضة، الذي أزهق أرواح الملايين، بعد أن أصبحت سوريا ساحة مفتوحة للصراع بين مختلف القوى الداخلية والإقليمية والدولية. مما يستدعي –نظراً لتعقيد المشهد وتأزّمه-جهوداً متواصلة ومكثّفة من قبل كافة الأطراف الفاعلة والمؤثرة، سواء المحلية أو الإقليمية أو الدولية، كما يتطلب مزيداً من الاستقصاء والاستطلاع، وجمعٍ للبيانات، من خلال بحوث ودراسات معمقة، تسعى للإلمام بكافة التفاصيل المهمة لتحليل السياق، والوصول إلى مكامن التطرف ومنابعه، عبر خطط وبرامج شاملة تسعى لإحلال السلام وترسيخ مبادئه، والحد من مظاهر العنف وآثاره المهددة للسلام العالمي.

مفهوم التطرف:

تشتق كلمة التطرف لغوياً من الجذر (ط.ر.ف)، وطرف كل شيء منتهاه [١]، ومعناه الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، فهو يقابل التوسط والاعتدال. يقال: تطرف: أتى الطرف، ورجل متطرف: لا يثبت على أمر، ويقال: تطرف في كذا، جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط [٢]. وأصله في الحسّيّات، كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات، كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك [٣].

أما اصطلاحاً فالتطرف يعني الابتعاد عن الاعتدال، وتجاوز الحدود المنطقية والمعقولة، وتجاوز المعايير والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، ويأخذ اشكالاً عدة، فكرية وسياسية ودينية. إلخ.

والتطرف يعتبراً أسلوباً منغلقاً للتفكير يقوم على المغالاة في التمسك بالآراء والأفكار، وعدم تقبل المعتقدات المختلفة، لاعتقاد الجماعات المتطرفة أنها فقط من تمتلك الحقيقة، وكل ما عداها باطل، ولذلك تقوم بفرض رأيها ومعتقدها على الآخر بكل الوسائل، ودون أية ضوابط، منتهكة كل المعايير والقيم. وتجدر الإشارة أن التطرف كمفهوم يتقاطع مع العديد من المفاهيم الأخرى في حقل السياسة، مثل الراديكالية والتعصب، سواء كانت على جهة اليسار أو اليمين.

مظاهر التطرف:

أولاً: التطرف السياسي:

يعتبر التطرف السياسي أحد أبرز وجوه التطرف كموقف سياسي، يعتقد أنصاره بأن حزبهم يعتبر النموذج الأوحد الذي يجب أن يُحتذى به، ويكون قائداً للجماهير، إذ يمثل آرائها وأهدافها التي لا يشوبها أي خلل. ويميلون للمبالغة والغلو في التمسك فكراً وسلوكاً بأفكارهم السياسية، ويرفض أنصاره أي فرصة للحوار الجاد، أو تقبل أي رؤى نقدية، ولو كانت تتحلى بالعقلانية والموضوعية، إذ يعتبر الأمر من وجهة نظر أنصاره انتهاكاً للمقدس الذي يجب ألا يُمسّ.

ثانياً: التطرف الديني:

يمثل التطرف الديني الغلو والتشدد في أي رأي أو معتقد في الدين، دون أي أساس علمي أو منطقي أو ديني، إذ يقوم على الفهم الخاطئ للدين، وأخذ العلم من غير مصدره، والاعتماد على النصوص الدينية التي تخرج من سياقها الزمني، وتتخذها كذرائع، إما عن جهل، أو تحقيقاً لمآرب تنصبّ مجملها في تنفيذ أجندات سياسية تتخذ من الدين ستاراً لها. ويرى المتطرفون دينياً أن دينهم أو مذهبهم أو طائفتهم، الأجدى بالاتباع وأنها تمتلك الحقيقة الدينية والدنيوية دون غيرها.

ثالثاً: التطرف الفكري:

يعد التطرف الفكري الجوهر الذي تتمحور حوله كل الجماعات المتطرفة، وهو نمط من أنماط التفكير المنحرف، والمتسم بالانغلاق والجمود العقلي، وعدم القدرة على الانفتاح والمرونة، وتقبل أي آراء أو

---

١ معجم لسان العرب. ص ٢١٣.
٢ المعجم الوسيط. ص ٥٥٥.
٣ القرضاوي، يوسف. (١٩٨٢). ***الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف*** (ط.٣). قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والعلوم الدينية. ص٢٣.

معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة. ويقوم على جملة من المفاهيم التي لا تقبل التغيير وترتبط بالدوغمائية، وتنعكس بشكل سلبي على الأمن الفكري والثقافي والمنظومة القيمية للمجتمع.

رابعاً: التطرف الاجتماعي:

يجسد التطرف الاجتماعي الخروج عن السلوك العام للمجتمع، وانتهاك المألوف من القيم، والأعراف والتقاليد السائدة، والابتعاد عن الوسطية والاعتدال فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية، واللجوء إلى التشدد والتعصب والتميز في الأفكار والسلوك. ويتسم المتطرفون الاجتماعين بالانغلاق الاجتماعي وسوء التوافق، في كافة التفاصيل الاجتماعية التي يمر بها الفرد في الحياة اليومية.

خامساً: التطرف الوجداني:

وهو الانجذاب العاطفي الذي يتصف بحماسة عالية نحو شخص أو فكرة أو معتقد أو جماعة، على نحو أعمى، دون تبصّر، ودون إدراك وعقلانية، وربما يدفعه هذا الانفعال إلى الإضرار بذاته أو غيره، نتيجة الشحنات الانفعالية الزائدة، والتي تضمر أقصى درجات الكراهية لحامل كل رأي أو فكر أو معتقد مخالف.

سادساً: التطرف السلوكي:

هو مجموعة من الأقوال والأفعال النمطية، التي تتجلى كسلوكيات ظاهرية، خارجة عن الحدود والمألوف، وتعد بمثابة خرق للعادة والقيم، دون أن تحمل أيّ رؤى أو قيم في ذاتها، ويظهر التطرف السلوكي كتحويل للشحنات الانفعالية والمشاعر الداخلية المتطرفة إلى أفعال واقعية ملموسة، سواء بالقول أو الفعل، متجلية في إحدى صور الانعزال والانغلاق، أو الهجوم والاعتداء.

أسباب التطرف:

على الرغم من أن التطرف بمختلف مظاهره، لا يأتي من فراغ ولا يتولد من عدم، فهو في المحصّلة نتيجة للعديد من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تترابط على نحوٍ يهيّأ بيئة خصبة لتشكيل السلوكيات والاتجاهات والمواقف. إلا أن لكل بلدٍ ماهيته وبنيته وتاريخه، ما يجعله متمايزاً بسياق خاص، وإن كانت الخطوط العريضة هي ذاتها فيما يتعلق بالأسباب والعوامل التي تقود إلى التطرف، أو تشكل التربة الخصبة لتنامي بذورها. يبين الشكل (١) تفاعل العوامل وفق النموذج الإيكولوجي للمستويات الأربعة التي من الممكن أن تشكل عوامل خطر تقود الفرد إلى الانحراف والتطرف، او الانخراط في العنف عبر الانضمام إلى جماعات مسلحة.

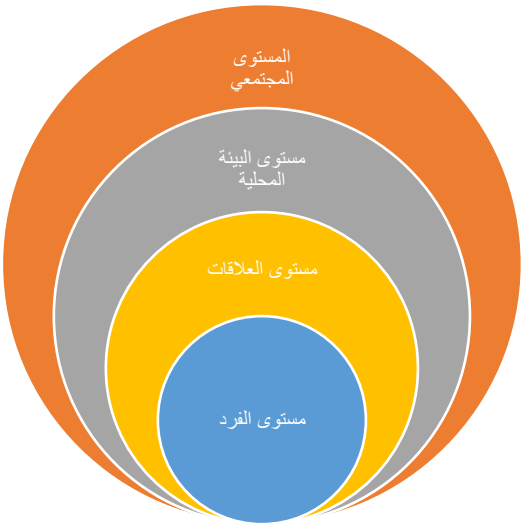

المستوى الأول: يتمحور حول الفرد ذاته، والعوامل المتجلية فيه مثل (ضعف الشخصية، عدم الثقة بالذات وعدم القدرة على تأكيدها، غياب الاستقلالية الفقر، البطالة، الجهل، تدني التحصيل العلمي، عوامل نفسية كالإحباط والاحساس بالدونية والذل، تجارب شخصية كأن يكون ضحية لعنف سابق...الخ)

المستوى الثاني: هو محور العلاقات القائمة لدى الفرد وخاصة المصفوفات الاجتماعية القريبة كالأسرة والأقران، التي تلعب دوراً محورياً في تكوين الشخصية وتوجهاتها. فالأشخاص الذين يعايشون العنف الاسرين او ضمن حلقات الزمالة والصداقة، يبدون استعداداً أكبر للاستجابة والتأثر والانخراط في العنف، او تبني الأفكار المتطرفة.

المستوى الثالث: يتعلق بالبيئة المحلية التي يحيا فيها الفرد، ويعد ضعف الخدمات العامة وتدهور البنية الاقتصادية وقلة فرص العمل، وعدم التجانس الاجتماعي، ووجود صراعات إثنية ذات أبعاد تاريخية، وخاصة مع وجود مجتمعات وافدة كالنازحين في ظل الكثافة السكانية العالية، من أبرز العوامل المحلية التي تشجع على تولد الفكر المتطرف والنزاعات واعمال العنف، بالإضافة إلى الفوضى وفقدان الامن، وتدني مستوى التعليم المحلي.

المستولى الرابع: هو المستوى الأوسع، ويتناول القيم والقوانين التي تشكل البنية العامة للوعي الجمعي، والعقلية السياسية والمجتمعية في النطاق العام. فالمجتمعات التي تغيب فيها العدالة الاجتماعية والمساواة، وتفتقد للحريات والحقوق المدنية، في ظل نظام دكتاتوري، تنحو نحو التطرف والعنف، كما إن سيادة الذكورية، وتهميش المرأة، والتحريض على مفاهيم الثأر والانتقام، على الصعيد العشائري أو الطائفي، او المجتمعي ككل، تشكل عوامل فاعلة وبيئة خصبة للعنف والتطرف.

من الممكن كذلك الاستفادة من مثلث النزاع أو العنف ليوهان غالتونغ لتفسير النزاعات والعنف، وكذلك التطرف، ونوضح الآلية التي بموجبها يتحول العنف كبنية ومن ثم كثقافة إلى سوية التجلي الواقعي والفيزيائي.

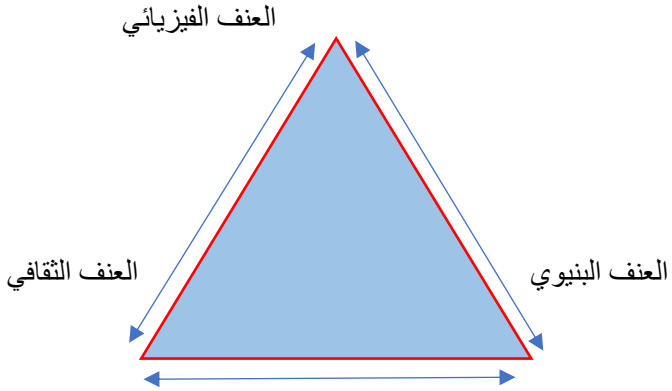

اولاً: العنف البنيوي:

يتجسد بالخلل في الهيكلية العامة للدولة والمجتمع-كما هو الحال في الدولة السورية-وعدم قدرة الافراد على تحقيق أهدافهم في ظل القمع والاضطهاد والتهميش السياسي وغياب العدالة الاجتماعية والمساواة، وعدم تكافؤ الفرص، وهي تحتوي ضمناً قضايا متنازعة عليها على كافة المستويات، واهداف يتم السعي إلى تحقيقها.

ثانياً: العنف الثقافي:

انطلاقاً من العنف البنيوي، وعدم القدرة على تحقيق الأهداف وتأكيد الذات، تتكون لدى الافراد مواقف تحمل طابعاً سلبياً في ظل النقمة والاحساس بالغبن، عند هذه السوية بالذات تلعب العديد من الوسائل مثل الإعلام والأحزاب والحركات ورجال الدين، دوراً سلبياً في التلاعب على تلك المواقف والمشاعر، والعمل على تضخيمها، وبالتالي الانتقال من سوية الفكر وعدم التقبل للآخر إلى سويات التكفير والرفض وضرورة النفي والالغاء.

ثالثاً: العنف الفيزيائي:

يمثل المرحلة النهائية بعد أن تفاقمت المواقف والأحاسيس في المرحلة السابقة عبر التجييش الإعلامي من خلال قنوات متنوعة، لتنتقل إلى مرحلة التعبير عن نفسها كعنف مادي (فيزيائي)، عبر سلوكيات مختلفة، قد تتعاظم إلى القتل كأقصى درجات العنف.

انطلاقاً من هذه الرؤية سنحاول تسليط الضوء على أهم الأسباب التي تقف وراء التطرف في سوريا، بمختلف تجلياته ومستوياته، والدوافع التي تقف وراء انضمام الشباب السوري إلى الجماعات والحركات المتطرفة. او الانخراط في سلوكيات العنف وتبنيه له، كنمط وأسلوب حياة.

١. الأسباب السياسية:

١.١ الإخوان المسلمين كبنية تاريخية مُمهِّدة:

لا يمكن الحديث عن البنية التاريخية المُمهّدة للتّطرف في سورية، دون العروج على جماعة الإخوان المسلمين التي لعبتْ دوراً كبيراً في تأسيس المغالاة والتشدد الديني، وجسّدتْ نموذجاً بارزاً للإسلام السياسي منذ تأسيسه في سوريا ١٩٤٠ على يد مصطفى السباعي. الذي نادى بالعودة إلى الإسلام، وجعل الشريعة الإسلامية الدستور الذي تقوم عليه الدولة، من مُنطلق أنّ القوانين الإلهية هي الأقدر والأجدى على تنظيم المعاملات البشرية وتسيير أمورهم. غير أن هذه الأفكار لم تلق في البداية قاعدةً شعبية على النحو المطلوب، وكان انتشارها محدوداً لأن الفكرة الأكثر رواجاً حينئذٍ كانت "القومية العربية"، غير أن الموازين انقلبتْ لصالح الإخوان بعد أن طرحوا فكرة "الجهاد لتحرير فلسطين" بعد عام ١٩٤٨، لتتكون لهم قاعدة جماهيرية بدأت بالاتساع، خاصةً بعد أن قامت الجماعة بمظاهرات وأعمال شغب في مواجهة علنية مع النظام، معلنةً نفسها الجماعة المخلّصة للشعب من ظلم النظام البعثي الطائفي، وكان لمدينة حماه النصيب الأكبر من تلك المواجهات التي اندلعت عام ١٩٦٤، حيث حطم الحمويون متاجر الخمور ومراكز حزب البعث في المدينة، فما كان من النظام إلا أن يستحضر الدبابات لإيقاف التمرد وأعمال الشغب، مما أدى إلى مقتل حوالي ١٠٠ شخص واعتقال الكثيرين. وبعد عدة سنوات بلغت المأساة أوجها على يد حافظ الأسد الذي دمّر مدينة حماه على رؤوس قاطنيها ١٩٨٢، حيث قتل الآلاف، وسجن أضعافهم، وتمت ملاحقة القيادات التي فرّت إلى خارج سوريا، كما طبق النظام السوري القانون ٤٩ الذي يقضي بإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان، وهكذا طويت صفحة هذه الجماعة في سوريا، وأصبح التصدي لعصابة الإخوان المسلمين العميلة شعاراً يُردد في كافة المدارس السورية كل صباح.

١.٢ الإقصاء السياسي والقبضة الأمنية:

تجمع الدراسات والأبحاث التي تتناول مفهوم التطرف ودوافعه أن الإقصاء والتهميش السياسي، وغياب التعددية في ظل الحكم الواحد، وعدم انضباط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، يعد من أهم العوامل الحيوية في التأسيس للتطرف وتنميته، ونظام الأسد لم يدخر جهداً منذ توليه السلطة ١٩٧١ في الانفراد بالحكم بشكل مطلق، عبر قبضة أمنية وعسكرية من حديد، فحزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد

للدولة والمجتمع، الحزب النافذ الوحيد ذو الصلاحيات المطلقة، على الرغم من وجود أحزاب عديدة في الجبهة الوطنية التقدمية، وأحزاب سياسية أخرى، إلا أنها مجرد أحزاب شكلية، لا تحظى بأية صلاحيات أو سلطة أو نفوذ. وكذلك الحال بالنسبة لمجلس الشعب الذي لا يعدو أن يكون واجهة حضارية وشكلية لتمرير أجندات الحزب والقائد، وما أعضاءه سوى نماذج لولاءات متفانية للبعث والقائد، في ظل غياب كلي لانتخابات نزيهة وحرة وعادلة. والرئيس باعتباره الممثل الوحيد للسلطة التنفيذية والقائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، استطاع عبر عقود من التسلط والقمع والاستبداد أن يقضي على أي حياة سياسية خارج منظومة البعث، وأن يلجم أي محاولة للنهوض، ويكتم أي صوت منادٍ بالحقوق والحرية. فما كان من الشعب السوري إلا ان يتحول تحت سياط البعث إلى مجرد مصفّقٍ، وهاتفٍ بشعار: "بالروح بالدم نفديك يا حافظ" ومن بعد الأب "بالروح بالدم نفديك يا بشار".

١.٣ الطائفية وتهميش الأقليات:

ترتفع مؤشرات التطرف وفق نتائج الأبحاث والنظريات الاجتماعية في البلدان التي لا تتسم بالتجانس القومي والعرقي والمذهبي، كما الحال في سوريا، البلد الذي يشهد تنوعاً قومياً من عرب وكرد وسريان وآشور وأرمن وشركس ...إلخ، ويعتنق شعبه العديد من الديانات كالإسلام والمسيحية والإيزيدية، بالإضافة إلى شريحة من اللادينيين، كما تتعدد الطوائف والمذاهب على امتداد الأراضي السورية من سنة وشيعة ودروز واسماعيلية ومرشدية ...إلخ. وعلى الرغم من أنّ التعدد الطائفي يعتبر مظهراً من مظاهر التنوع الثقافي والحضاري، ولا يمثل مشكلة في حد ذاته، إلا أن حزب البعث عبر قبضة الأسد، تمكن من إعادة انتاج الوعي الطائفي، والحيلولة دون تطوره إلى حالة وطنية، وتعزيز الانقسامات المذهبية والطائفية وجعلها قنابل موقوتة وقابلة للانفجار، في الوقت الذي استفاد فيه من الولاءات الطائفية والعشائرية في ترسيخ أركان حكمه الفردي، مانحاً طائفته العلوية العديد من الامتيازات السياسية والعسكرية، وخاصة في المراكز والمواقع المفصلية والحساسة، دون الطوائف الأخرى التي تكونت لديها نزعة الانكماش حول ذاتها، والتحالف في الوقت ذاته، لحماية الطائفة وتمتين علاقاتها وهيكليتها الداخلية. كبنية مستقلة في حد ذاتها، متأهبة لأي ظرف تاريخي، يمنحها القدرة على التعبير عن ذاتها وهويتها وحقوقها.

على هذا النحو تحول التعدد الطائفي في ظل النظام القمعي والتسلطي إلى نزعة سلبية، حاضنة في داخلها بذور النقمة والتطرف.

١.٤ القضية الكردية؛ إنكار الوجود وطمس الحقوق:

على الرغم من أن الكرد يعيشون على أرضهم التاريخية في الشمال السوري، كشعب له قوميته وتاريخه ولغته وثقافته الخاصة به، إلا أن السلطات السورية لم تنفك تمارس ضده العديد من الإجراءات التعسفية، وتنكر وجوده التاريخي، وتحرمه من كافة حقوقه السياسية والثقافية المشروعة، وما الإحصاء الاستثنائي ١٩٦٢ إلا نموذج بسيط لتلك الإجراءات التي حرمت مئات آلاف الكرد من الجنسية السورية، ناهيك عن مكتومي القيد، بالإضافة إلى مشروع الحزام العربي الذي نفذ عام ١٩٧٤ على طول ٣٠٠كم وعرض يصل حتى ١٥كم في المناطق الكردية لتستولي على أراضي الكرد وتملكها للعرب الغمر من محافظتي الرقة وحلب، وتم بالفعل توطين اكثر من ٤٠٠٠ أسرة عربية في الشريط الحدودي، وتوزيع أكثر من ٧٠٠ ألف دونم عليهم.

اتبع حزب البعث الحاكم سياسة ممنهجة لطمس الهوية الكردية، ومعالم ثقافتها، ومحاولة دمجها في بوتقة الوحدة العربية من خلال التضييق والتنكيل و قمع الحركة السياسية وملاحقة واعتقال الناشطين، باعتبارهم خطر على أمن الدولة، وانفصاليين يهدفون إلى تفتيت وتقسيم وحدة البلاد، كما قامت السلطات السورية بتغير أسماء القرى والبلدات والمواقع الأثرية الكردية، وأطلقت عليها تسميات عربية، ونفت الهوية الكردية عن كافة الشخصيات الكردية التي كان لها دور كبير في البلاد أو الوطن العربي، مثل صلاح الدين الأيوبي، ويوسف العظمة وإبراهيم هنانو وغيرهم، ومنعت الأكراد كذلك من التحدث بلغتهم الأم، وفصلت الطلبة الكرد من المعاهد والجامعات تحت حجج وذرائع واهية، والكثير من الممارسات الأخرى التي زرعت الإحساس بالظلم والاضطهاد في وعي الكردي ولا وعيه، وولدت لديه النقمة و الرغبة بمزيد من الإصرار في نيل حقوقه المشروعة. على الرغم من كل ذلك فإن ما يبعث على الأسف لدى الشعب الكردي، وخاصة بعد الثورة السورية ٢٠١١، هو أن المعارضة السورية بمعظم تجلياتها وتياراتها تشاطر النظام السوري هذه الرؤية، وتقف معه في ذات الصف حين يتعلق الامر بالقضية الكردية والحقوق المشروعة للشعب الكردي.

٢. الأسباب الدينية:

على الرغم من أن الدين بحد ذاته قد لا يكون مصدراً للتطرف والإرهاب، إلا أن الفهم الخاطئ للدين، أو تسييسه، يمكن أن يؤدي إلى نتائج كارثية ويجعله مصدراً حيوياً لكل فكر أو فعل مغال ومتطرف.

في سوريا وخلال حكم الأسد الأب والابن تم تحجيم دور الدين ورجاله خلال عقود طويلة، وخاصة بعد التجربة المريرة مع حركة الإخوان المسلمين، فما كان رجال الدين سوى موظفين في الدولة، يظهرون أسمى آيات الولاء والطاعة للحاكم، ويخطبون على المنابر ما يملى عليهم من الفروع الأمنية والقيادات البعثية، وتم حظر العديد من الكتب الدينية في سوريا، وخاصة تلك المرتبطة بجماعة الإخوان أو التي تدعو إلى الخروج على الحاكم الظالم، مما أدى إلى موجات من التثقيف الذاتي، وتلقي العلم من غير أهله، الأمر الذي أدى إلى اختلاط في المفاهيم، وعدم الإلمام بدلالات الألفاظ، ولا بالسياقات التاريخية للكثير من الآيات التي يتخذها المتطرفون والإرهابيون ذريعة للعنف والقتل، مثل الآية القرآنية (**واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**)[٤]، وكذلك الآية: (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**)[٥]، بالإضافة إلى عدد كبير من الأحاديث النبوية منها (**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**)[٦]، فعلى الرغم من وجود الكثير من التفاسير المعتدلة التي تلتزم بالسياق التاريخي للآية أو الحديث، إلا أن الجماعات المتطرفة يحلو لها الأخذ من معين المتشددين، الذين يسقطونها على كافة العصور والأزمنة، ويلتزمون بالتشدد في كل الأمور الدينية والدنيوية مع قيام موجبات التيسير. معتبرين كل من خالفهم ناقص فقه ودين.

---

[٤] سورة البقرة. الآية ١٩١.
[٥] سورة المائدة. الآية ٤٤.
[٦] صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب ثبوت الجنة للشهيد.

واستطاعت هذه الجماعات في ظل الثورة السورية الاستيلاء على المساجد متخذة من منابرها لسان حال الجماعة والأمير، كما افتتحت العديد من المعاهد الشرعية لكافة الفئات العمرية لتبث في عقول الناشئة أفكارها المسمومة والمتطرفة، القائمة على التشديد والمغالاة والتكفير، ليصبح ابن لادن البطل الأسطوري للكثير ين، بعد حشت تلك الجماعات مخيلاتهم البريئة بقصصه الخيالية.

٣. الأسباب الاقتصادية:

يحمل المثل السوري: (الفقر كفر) الكثير من الدلالات التي تنطوي على الحالة الاضطرارية التي تجبر صاحبها على اتخاذ أي سلوك وإن لم يألفه، في سبيل تأمين لقمة عيشه، بأية وسيلة كانت، بمعنى أن الحالة الاقتصادية المتردية، وضعف الخدمات العامة على مستوى مؤسسات الدولة، وقلة فرص العمل، وتنامي مستوى البطالة، من الممكن أن تكون دافعاً للكثير من الناس لتبني أفكار متشددة ومتزمتة والانخراط في سلوكيات عنيفة، أو الانضمام إلى جماعات متطرفة. وهذه العوامل مجتمعة متواجدة بقوة في الدولة السورية، على الرغم من أن سوريا تعتبر أحد أغنى الدول العربية، إلا أن خيراتها تنحصر في جيوب فئة قليلة استولت على عائدات البلاد من نفط وثروة زراعية وحيوانية.... إلخ، بذريعة تقوية الجيش، والفزاعة الصهيونية. هكذا يرزح الملايين من الشعب السوري تحت خط الفقر، عاملين بأجور زهيدة، أو باحثين عن فرصة عمل، حالمين بالسفر إلى دولة أوربية علهم يحظون بحياة كريمة.

٤. الأسباب النفسية؛ الإحباط والإحساس بالمهانة:

تُدرج مراكز الدراسات الإحباط والإحساس بالذل والمهانة كإحدى أهم الأسباب التي تبعث على تبني الأفكار المتطرفة. السوريون على نحو عام يعانون ويكابدون هذه الأحاسيس كافة، نتيجة للممارسات التعسفية التي انتهكت حرمتهم كبشر، من قبل النظام الحاكم، وسلبتهم وجردتهم من الكثير من الحقوق والحريات التي تعد من أبسط الحقوق التي يجب أن يحظى بها الإنسان وفق العهود الدولية ومواثيق حقوق الإنسان. الفقر، واتساع الهوة بين ما يستحقه الفرد وما يحصل عليه، والحرمان من الخدمات الصحة والعمل، والتعليم الموضوعي الغير مؤدلج، والحاجة إلى الأمن والاحساس بالكرامة، والحاجة إلى المشاركة السياسية، والحاجة إلى الإحساس بالانتماء والهوية ...إلخ كلها حاجات يفتقد إليها الشعب السوري، عبر عقود من الظلم والاضطهاد، وقد تدفع هذه التجارب المريرة الكثيرين لتبنى مواقف وسلوكيات متطرفة في حياتهم، قائمة على العنف كأسلوب حياتي لحل مشاكلهم في البيت والشارع والمدرسة والمؤسسة ...إلخ وتجعلهم لقمة سائغة وفريسة سهلة للكثير من التنظيمات المتطرفة التي تستغل هذه البنية النفسية المهزوزة وتسعى لاستقطابها وتجنيدها ضمن صفوفها.

٥. خامساً: الأسباب الاجتماعية:

تعد الروابط والشبكات والهياكل الاجتماعية، البيئة التي تستند إليها العلاقات الإنسانية، وتتفاعل من خلالها عمليات التواصل والعمل، كما تعزز الإحساس بالعديد من المفاهيم المتعلقة بالانتماء والهوية، وعلى نحو أعمق تهب المعنى للأفراد كجزء من منظومة اجتماعية متكاملة. المنظومة التي طحنتها رحى الحرب والصراع الدائر من أكثر من تسع سنوات، جعلت السوريين يعيشون على هامش سياق اجتماعي مدمر، بعد انهيار الروابط والشبكات الاجتماعية في ظروف القصف والانفجارات، وتجارب العنف المريرة من قتل ونزوح وتشريد وفقد للأهل والأحبة. الصدمات والخسارة والموت اليومي قوّضت كل إحساس بالمعنى، وجعلت المعاناة الرابط الوحيد في المأساة السورية. كما مهدت الطريق للكثير من التنظيمات المتطرفة لاستغلال الثغرات والسياق الاجتماعي المدمر لتجنيد الكثيرين في صفوفها عبر أيديولوجية تحاول إعادة صياغة وتكوين المعنى عن طريق القتال، كواجب ديني واخلاقي ووطني، مستغلةً ومؤججةً نوازع النقمة والرغبة في الانتقام، داعيةً إلى الأخذ بالثأر، والذود عن الأرض والعرض، فلم يعد ما يخسره السوريون بعد أن فقدوا كل شيء.

٦. سادساً: البنية التعليمة:

لطالما كان ولا يزال التعليم، ساحة للصراع بالنسبة للعديد من الأيديولوجيات التي تسعى لغرس قيمها ومبادئها وأفكارها، في عقول الناشئة والشباب. ولم تدخر الحكومة السورية، التي تعتبر الأسد الأب (المعلم الأول) جهداً، في زرع قيم البعث والعروبة، عبر مناهجها المؤدلجة بامتياز، في عقول التلاميذ والطلبة في كافة المراحل التعليمية. وعلى الرغم من التوسع الكمي في منظومة التعليم السورية، إلا أنه لم يترافق مع تحسين نوعية التعليم العام، الذي كان قائماً على الحفظ والتكرار، مقيداً للتفكير النقدي، عبر مناهج وأساليب تعليمية أكل الدهر عليها وشرب. أثقلت كاهل طلبة العلم وجعلت أقصى طموحاتهم الحصول على الشهادة فقط، سبيلاً للتوظيف وتأمين لقمة العيش، بغض النظر عن التحصيل الحقيقي للعلم ورفع سوية الوعي والثقافة لدى المتعلمين والخريجين على حد سواء.

على مر عقود من الزمن أغفلت المنظومة التعليمية السورية تعزيز قيم السلام، ودمج مهارات حل النزاع، وتقبل الآخر واحترام التنوع. من خلال الترويج للأصولية والقومية الواحدة، والإقصاء اللغوي والعرقي للعديد من الأقليات، متحاشية الإشارة إليها او تضمينها في المناهج؛ لجعل التنوع لا مرئياً، وتشجيع الهوية الواحدة. الأمر الذي ولّد الشعور بالتهميش الشديد لدى الأفراد ومجموعة الأقليات، وهيأ بيئة خصبة لإذكاء العداء والتطرف.

التداعيات المترتبة خلال الحرب بالسورية:

١. التطرف من الفكرة إلى الفعل:

كان سياق الحياة في سوريا، السابق ذكره، على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعبر عقود من الزمن، محرضاً لتنامي النقمة والاحساس بالقهر، ونضج الأفكار المتأهبة للتجلي في أفعال سلوكية، آخذة من العنف منحى للتعبير عن الاستياء المكبوت، وقناتاً للانتقام ورد الاعتبار، ونمطاً للحياة في ظل السياق الدموي للأحداث التي تمر بها البلاد. بعد أن نجح النظام في عسكرة الثورة وتجريدها من طابعها السلمي. عبر القمع الوحشي للمظاهرات التي نادت بالحرية، واستخدام العنف المفرط ضد المنادين بالحرية. وجعل الصراع والعنف مفتوحاً على مصراعيه لكافة القوى الداخلية والإقليمية والدولية، ليتيح المجال لتفجير لتلك الأفكار والنزاعات الكامنة والموقوتة. وانتقالها من الممكن إلى الواقع. عبر جميع القنوات المتاحة، من فصائل وميليشيات مسل والانخراط في دوامة العنف وسلسلة الدم.

٢. التدخلات الدولية وتنامي التطرف:

تشهد الساحة السورية صراعاً بين العديد من القوى، الأمريكية والروسية والتركية والإيرانية، التي جعلت من الواقع السوري وسيلة لتحقيق أجنداتها ومطامعها ومصالحها القومية، وإطالة عمر الكارثة السورية. هذه القوى التي سعت بكافة الوسائل إلى استمالة السوريين وتجنيدهم في صفوفها وصفوف الفصائل والميليشيات التابعة لها. مستغلة الظروف المأساوية والهشة للتحريض على العنف وترسيخ خطاب الكراهية، وتوسيع دائرة التطرف، والاقتتال ما بين السوريين أنفسهم، من خلال حملات التشييع والتجنيد في صفوف القوات الإيرانية والميليشيات التابعة لها. وكذلك التدخلات التركية والفصائل الموالية لها، وخاصة في شمال شرق سوريا، مستهدفة المكون الكردي في عمليات (درع الفرات) و(غصن الزيتون) و(نبع السلام)، والتي استولت من خلالها على عفرين والمناطق الواقعة بين رأس العين وتل أبيض، الأمر الذي أسفر عن قتل واعتقال ونزوح الآلاف، بالإضافة إلى الانتهاكات اليومية التي ترتكبها الفصائل الموالية لها بحق المدنيين. والتي تؤجج وترسخ العداوة بين الكرد وتلك الفصائل، وتطلق العنان للتطرف والعنف.

٣. السياق الاجتماعي للنزوح واللجوء:

تشكل التجارب المريرة التي عايشها السوريون، والصدمات التي تلقوها، والخسارات التي منيوا بها، تحت وطأة العنف والقتل والتشريد، عوامل كافية بحد ذاتها لتشويه الذات السورية، وتمزق النسيج الاجتماعي الذي يحتويها. وقابليتها للانخراط في سياقات عنيفة وانضمامها في صفوف جماعات مسلحة. وخاصة في ظل ازدراء دول اللجوء، وشعور اللاجئين بالاضطهاد والتميز والاستغلال في المجتمعات المضيفة، الأمر الذي شكل حافزاً قوياً للسوريين للعودة والانضمام إلى جماعةٍ ما، بعد ان فشلت تلك المجتمعات في تضميد جراحهم، وخلق مناخات مواتية للاندماج والدعم النفسي، وكذلك العجز عن تقديم الخدمات الأساسية التي قد تسهم في خلق نوع من الاستقرار، وتبعد شبح التشرد والفقد والاحساس بالاغتراب والدونية. ومن الجدير بالذكر، وفقاً لتقرير **منظمة هيومان رايتس ووتش**، أن السلطات التركية احتجزت العديد من السوريين، وأعادتهم قسراً بعد التوقيع على نماذج " العودة الطوعية"، وانتهى بهم المطاف في

إدلب، والمناطق الخاضعة لسيطرة حركة تحرير الشام. كما أن لبنان الذي يستضيف نحو ١،٥ مليون لاجئ سوري، رحّل ٢٧٣١ سورياً بين ٢١ مايو و٢٨ أغسطس ٢٠١٩، وسلمتهم مباشرة إلى السلطات السورية [٧].

٤. الجماعات المتطرفة كبديل اقتصادي:

تعد الأسباب الاقتصادية والعجز عن تأمين لقمة العيش من أبرز الأسباب التي جعلت العديد من السوريين ينخرطون وينضمون للجماعات المسلحة، التي اغدقت عليهم المنح والعطايا والرواتب، وفتحت الباب امام الكثيرين للسرقات والنهب والتهريب، سواء للسوريين المتواجدين على الأرض السورية او اللاجئين في دول الجوار، ممن تعرضوا للاستغلال والاستحكام والعمل بأبخس الأجور. المنظومة الاقتصادية المتدهورة، في ظل العقوبات وانهيار العملة السورية، وتدمير وتعطيل المنشآت الصناعية والتجارية، والفصل الوظيفي للمطلوبين لخدمة العلم، والمطلوبين للاحتياط، وتعطّل سبل كسب العيش، وتدني الأجور والرواتب في ظل الغلاء المعيشي، وتزايد معدلات الفقر التي تجاوزت ٨٠٪ ممن يعيشون تحت خط الفقر [٨]، بالإضافة إلى البطالة وقلة فرص العمل، ضيّقت الخناق على السوريين، وجعلت الكثيرين في ظل غياب البدائل، وجها لوجه مع العنف، عبر الانضمام إلى فصيل مسلح ما.

٥. التعليم المتطرف كأجندة سياسية:

تفاقم تدهور البنية التعليمة في سوريا كأحد تداعيات الحرب التي لم تسلم منها المؤسسات التعليمية، في ظل انعدام الأمن والاعتداء، والهجمات على المرافق التعليمية التي بلغت ٤٧٨ هجوم، وفق تقرير اليونيسيف [٩] في آذار/مارس ٢٠٢٠، الذي ذكر كذلك أن ٤٦٩١ طفل قد تم تجنيدهم للقتال. فيما أوضحت منظمة (HNO) أن ٢،١ مليون طفل سوري هم خارج المدارس، فيما ١،٣ مليون طفل مهددون بخطر الخروج منها، في الوقت الذي يحتاج فيه نحو ٦ مليون سوري للتعليم [١٠].

استطاعت الجماعات المتطرفة، وعلى نحو خاص داعش، أن تستغل الواقع التعليمي الهش، وتكرس موارد كبيرة لإنشاء أنظمة التعليم الخاصة بها، عبر مناهجها الدينية المتزمتة في المدارس والمعاهد الشرعية، لنشر ثقافة العنف، والتفسيرات المتشددة والمغالية للدين، وتسهم في زيادة عدم تقبل الآخر، في الوقت الذي منعت فيه تدريس بعض المواد كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع.

بالإضافة إلى ذلك، ساهمت نقص الفرص التعليمية في المجتمعات المضيفة للنازحين في دفع العديد من الشباب -بعد أن فقدوا آمالهم في إتمام تعليمهم-نحو التجنيد في الجماعات المسلحة.

---

[٧] هيومان رايتس ووتش. ٢٠٢٠.سوريا(أحداث ٢٠١٩).https://www.hrw.org/ar/world-report/2020/country-chapters/337033

[٨] أخبار الأمم المتحدة.١ مارس ٢٠٢٠.https://news.un.org/ar/story/2019/03/1028152 .

[٩] اليونيسيف. مارس ٢٠٢٠. (سوريا٩: أرقام وحقائق).https://news.un.org/ar/story/2019/03/1028152

[١٠] HNO. ٢٠١٩. (شدة الاحتياجات في سوريا).https://hno-syria.org/#sector-needs .

٦. الإعلام كمروّج للكراهية والعنف:

عملت وسائل الاعلام، سواء التابعة للنظام أو للمعاضة، أو للموالين لهما، والتي تكاثرت عبر سنوات الصراع التسع، على تسخير كافة إمكاناتها وجهودها، عبر وسائلها كافة، المقروءة والمسموعة والمرئية، ومن خلال أحدث التقنيات، على تمزيق المجتمع السوري، والهيمنة على عقل المتلقي، ونشر خطاب الكراهية، وتكوين آراء وتصورات لرفض الآخر وعدم تقبله، والنظر إليه باعتباره إرهابياً أو انفصالياً، أو عدواً يجب محاربته كواجب وطني وأخلاقي.

تحولت وسائل الإعلام إلى وسائل حرب وتدمير ممنهجة، بعد أن مارست كل ما هو ممنوع مهنياً وإنسانياً، عبر تزوير الحقائق المعاصرة والتاريخية، وفبركة الأحداث، والكذب والتلفيق، مستغلة الجانب النفسي والعاطفي للسوريين في ظل السياق الدموي، والخسارة والفقد، ورغبات الانتقام، مرتكزة على التزييف العقلي والمغالطات المنطقية، للتلاعب بالعقول وتوجيهها بما يخدم أجنداتها، ومصالح الجهات الممولة لها. ليبرز الإعلام كأخطر أداة لنشر التطرف كفكر وسلوك في المشهد السوري.

الخاتمة:

يبدو جلياً للعيان من خلال العرض السابق، والتحليل الموضوعي للأسباب والتداعيات في المشهد السوري الشائك، أن جميع العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ...الخ تتفاعل وتتداخل جنباً إلى جنب، لتشكيل العقلية والفكر المتطرف، والبنية التي ترتكز عليها الأفعال والسلوكيات العنيفة. مما يجعل الحاجة ملحّة للتحرك بفعاليةٍ أكثر نحو المنبع والدوافع التي تقود إلى التطرف، والتصدي لها، عبر فرق عمل شاملة، وخطط تشارك فيها منظمات المجتمع المدني، وقادة المجتمع المحلي، والشباب والنساء، والباحثين، والجهات الفاعلة الأخرى، عبر التواصل والمشاورات لتحليل التهديدات والدوافع، وتقييم الاحتياجات والموارد المطلوبة، وتحديد السياسات والآليات اللازمة للتصدي لتلك الدوافع، عبر برامج وخطط شاملة، بما في ذلك خطة الأمم المتحدة لمنع التطرف العنيف، والاستفادة من مبادئها التوجيهية، والتركيز على المجالات الاستراتيجية السبعة ذات الأولوية، والتي تتضمن الحوار ومنع نشوب النزاعات، والحكم الرشيد، واشراك المجتمعات المحلية، وتكمين الشباب، والمساواة بين الجنسين، والتعليم، والاتصالات الاستراتيجية.

إن مزيداً من فهم التطرف في سياقه المحلي، وإمكانية معالجته، أو التخفيف من آثاره عبر نهج مجتمعي، يضمن تطوير التدخلات عبر الشركاء المحليين، الذين يحيطون بمعرفة أكثر بتفاصيل مجتمعاتهم وعقلية وتوجهات أفرادها. وذلك عبر برامج لتعليم السلام ومكافحة العنف والتطرف، تستهدف الأفراد والمجموعات الأكثر ضعفاً، عبر إشراك المربّين والجهات الفاعلة، لتوفير سبل بديلة غير عنيفة للنشاط، واستحداث آليات بديلة لتسوية النزاعات مثل الوساطة والتحكيم والعدالة التصالحية، لحل النزاعات وإحلال السلام الدائم. تلك البرامج بمقدورها أن تتيح للشباب الإحساس بالهدف، والتمكين، وتعديل السلوك، للقدرة على التأثير الإيجابي. وتعزيز شبكات اجتماعية داعمة، تمكنهم من التعامل مع الصدمات ومشاعر الغضب والكره والرغبة في الانتقام. وإدراك أهمية المشاركة المدنية الإيجابية بعيداً عن التطرف والعنف والجماعات المسلحة.

المراجع:

١. معجم لسان العرب. ص٢١٣.

٢. المعجم الوسيط. ص ٥٥٥.

٣. القرضاوي، يوسف. (١٩٨٢). *الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف* (ط.٣). قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والعلوم الدينية. ص٢٣.

٤. سورة البقرة. الآية ١٩١.

٥. سورة المائدة. الآية ٤٤.

٦. صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب ثبوت الجنة للشهيد.

٧. هيومان رايتس ووتش. ٢٠٢٠.سوريا(أحداث ٢٠١٩).https://www.hrw.org/ar/world-report/2020/country-chapters/337033

٨. أخبار الأمم المتحدة.١ مارس ٢٠٢٠.https://news.un.org/ar/story/2019/03/1028152 .

٩. اليونيسيف. مارس ٢٠٢٠. (سوريا٩: أرقام وحقائق).https://news.un.org/ar/story/2019/03/1028152

١٠.HNO. ٢٠١٩. (شدة الاحتياجات في سوريا).https://hno-syria.org/#sector-needs .

التّطرّف في المشهد السوري الأسباب والتداعيات

وحدة البحوث و الدراسات

CONSULTANCY & STRATEGIC STUDIES

www.asocenter.org

info@asocenter.org

(+964) 751-4413372